الحديث الحادي والثلاثون
«الزهد طريق المحبة»

عن ابي العباس، سهل بن سعد الساعدي (رضي)، قال: جاء رجل الى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله، دلني على عمل اذا عملتهُ احبني الله وأحبني الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس، يحبّك الناس» حديث حسن، رواه ابن ماجه، وغيره بأسانيد حسَنة.

٢ ـ روايات والفاظ اخرى :

* تعقّب ابن رجب، تحسين النووي للحديث، ثم بين انه ضعيف.
* ثم اورد رواية مرسلة، عن ربعي بن حراش، قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل يحبني الله عليه، ويحبني الناس عليه، فقال: اما العمل الذي يحبك الله عليه، فازهد في الدنيا، واما العمل.. فانظر هذا الحطام فانبذه إليهم»، وفي رواية: فانبذ اليهم ما في يدك من الحطام».
* وفي رواية: ايأس مما في ايدي الناس تكن غنياً[1].
* وفي حديث قدسي: «ما تقرب اليّ عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا.. الخ»[2].

٣ ـ أهميته :

* عن أبي داود رحمه الله قال: اصول السنن في كل فن أربعة أحاديث، وعدّ منها

---

(١) الجامع ص٢٦٤.
(٢) الاتحافات ص١٥٢.

هذا الحديث[1].

* وللحافظ أبي الحسن:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية[2]

فهو قد جمع في هذين البيتين اربعة احاديث تدور عليها احكام الاسلام، ومنها هذا الحديث، وقد اشار اليه بقوله: إزهد.

* وقد جمع هذا الحديث السعادة العظمى الخالدة «وهي محبة الله تعالى»، والسعادة الصغرى وهي محبة الناس.

٤ ـ شرح الحديث :

أ) البيان اللغوي:

* الزهد الاعراض عن الشيء لا ستصغاره، وارتفاع الهمة عنه لاحتقاره، من قولهم: شيء زهيد: قليل، ومنه قوله تعالى: «وكانوا فيه من الزاهدين»[3].
* احبني الناس: بارادة المنفعة.
* يحبَّك : بفتح الباء المشددة، واصله: يحببك بالجزم في جواب الامر[4].
* على عمل : ما يشمل الفعل والترك.

ب) المعنى الاجمالي:

اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين، احداهما: الزهد في الدنيا، وإنه مقتضٍ لمحبة الله عز وجل لعبده، والثانية: الزهد فيما في ايدي الناس، وأنه مقتضٍ لمحبة الناس.

---

(١) قد سبق ذكر هذا القول والاستشهاد به غير مرة في حديث الاعمال بالنية والحلال، وحسن اسلام المرء.

(٢) الجامع/ الطبعة المحققه ص١٤.

(٣) آية ٢٠ من سورة يوسف. (٤) راجع القسم الثاني من الشرح.

٥ ـ بعض ما يرشد إليه:

* الاسلام دين متوازن ومتكامل. يجمع بين الواقع والمثال، بين أشواق الروح، ومستلزمات العيش الدنيوي، ولا يسمح بطغيان جانب على آخر، وحينما جهل هذه الحقيقة من جهلها من المسلمين، ضلوا ضلالا بعيداً، اما المسلمون، فمن جهلها منهم، فقد وقع في مخالفات اعتقاديه وسلوكية ابتعد بها عن روح الاسلام وجوهره، ونستطيع أن نرد الانحرافات هنا إلى صنفين، ١ـ من اعرضوا عن الدنيا إعراضاً كاملاً كشرط اساسي اعتقدوه للفوز برضوان الله ونعيم الأخرة.

٢ـ من حصروا التدين في حسن المعاملة وكسب رضا الخلق، والسير مع الأهواء، وأما غير المسلمين، فإن من جهل هذه الحقيقة في الاسلام، قد افترى وطعن وشك وشكك غيره، واتهم المسلمين بالبعد عن الله، كالنصارى الذين زعموا المحبة في التجسيد، او اتهمهم باهمال الدنيا وعالم الناس، وان دينهم دين اشراقي صوفي روحي بحت.

* حرص الصحابة (رضي) على فعل الخيرات.
* لا يصح قول الناس: ان ارضاء الناس غاية لاتدرك، بل هي تدرك بما ذكر في الحديث.
* الدنيا، اذا لم يعرف الانسان معنى وجوده فيها، والحكمة من إيجادها، فإنها عندئذ تفقد قيمتها، وتصبح شيئاً تافهاً وحقيراً، ويصير الاهتمام بها من أمارات الجهل والغفلة؛ وعلى ذلك تحمل الآيات الكثيرة والأحاديث التي وردت في ذم الدنيا.
* لايمكن ان يجتمع حب الدنيا وحب الله في قلب امرىء، لان من أحب الدنيا عظّمها واستعمل نفسه في خدمتها، وهذا يتنافى مع قوله تعالى: «وما خلقت الجن والانسن الا ليعبدون».
* من أحب الدنيا، واقبل على جمع حطامها، أعرض عنه الناس، لوجود معنى التنافس فيما بينهم على ذلك.
* ينبغي للمسلم ان يهتم بالناس، ويتحبب إليهم، ويبتعد عما يغضبهم من

الافعال والاقوال والاحوال، وعليه فلا مكان في الاسلام للنظرية الصوفية التي عبرت عنها رابعة العدوية بقولها:

فليتَ الذي بيني وبينك عامر : وليت ما بيني وبين العالمين خراب

* الزهد في الدنيا ما زال شعار الصالحين، كما كان شعار الانبياء.
* يمكن للمسلم أن يجمع في قلبه بين حب الله، وحب الناس، ولكن مع إيثار حب الله على حب غيره «والذين آمنوا أشدُ حباً لله.. الآية»، وبشرط ان لا يقف حب البشر حائلاً دون تحقيق مستلزمات محبة الله تعالى: من الجهاد في سبيله، والتضحية والتفاني في نصرة دينه، وموالاة اوليائه تعالى.
* ان اعظم وسيلة لاستجلاب محبة الناس واكرامهم، الزهد في اموالهم، والتعفف وعدم الطمع فيما عندم من الحظوظ: من مال، وجاه، ومتاع، وغير ذلك.
* اثبات صفة المحبة لله، على ما يليق بجلاله، وهناك من يتأولها على معنى ارادة الرحمة والمثوبة، بينما معنى محبة الناس: ارادتهم المنفعة للمحبوب.

٦ ـ بعض تطبيقاته :

* في الحديث: إذا أحب الله عبداً حماه عن الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمة الماء[١].
* قال الامام أحمد: أسرّ أيامي إليّ، يوم أصبح وليس عندي شيء.
* قيل لأبي حازم الزاهد: ما مالك؟ قال: لي مالان، لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في ايدي الناس[٢].
* قال ﷺ: «اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح، قالوا: فما علامة ذلك يارسول الله؟ قال: الانابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»[٣].
* وقال ابن القيم: فائدة: لاتتم الرغبة في الآخرة الا بالزهد في الدنيا[٤].

---

(١) شرح الشرنوبي/ ص٣٦. (٢) جامع العلوم ص٢٥٤. (٣) الفوائد لابن القيم ص٢٧.
(٤) السابق ص٩٤

* قال ابن قدامة: محبة الدنيا، ومحبة الله في القلب كالماء والهواء في القدح، اذا دخل الماء خرج الهواء، فلا يجتمعان»[1]

* قالت عائشة لعروة: كان يمر بنا هلال وهلال وهلال ما يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: ياخالة: فعلى اي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الاسودين، الماء والتمر[2].

* قال سفيان بن عيينة: الزهد ثلاثة احرف: زاي، وهاء، ودال، فالزاي: ترك الزينة والهاء، ترك الهوى، والدال, ترك الدنيا[3].

* وقال الشيخ عبد المجيد الشرنوبي في شرح الاربعين، على قوله ﷺ: وازهد فيما عند الناس..: اخذ بعضهم هذا المعنى ونظمه شعراً فقال:

الناس اخوانك مالم تكن تطمع فيما عندهم من حطام
فان تعرضت لاموالهم كنت عدواً لهم والسلام[4]

* اورد النووي في رياض الصالحين بابا خاصاً بفضل الزهد في الدنيا.[5]

* وقال ابن عطاء الله في حكمه: لو اشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كِسْفة الفناء عليها[6].

* وقال: ما قلّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب[7].

* وقال: كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته، ام كيف يرحل الى الله وهو مُكبِّل بشهواته،.. الخ[8].

* وقال ابن القيم: القلب المعلق بالشهوات لا يصلح له الزهد.[9]

* قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الامل، ليس باكل الغليظ ولابلبس العباء، وقال: وكان من دعائهم: «اللهم زهّدنا في الدنيا ووسع علينا منها، ولا تردها عنا فترغّبنا فيها»[10].

* قال ابن عمر: لا يصيب عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريماً[11].

---

(١) مختصر المنهاج ص٣٥٣. (٢) السابق ص٣٢٨.
(٣) شرح الشرنوبي ص٣٦. (٤) السابق ص٣٦. (٥) ص ٢٠٠.
(٦) الحكم/ ص٣٠. (٧) السابق ص١٢. (٨) السابق ص٤. (٩) الفوائد ص ١١٨.
(١٠) الجامع ص٢٥٦. (١١) السابق ص٢٥٨.

* وصّى النبي ﷺ جماعة من الصحابة: «ان يكون بلاغ احدهم من الدنيا كزاد راكب» منهم: سلمان الفارسي، وابو عبيدة، وابو ذر، وعائشة (رضي)[1].
* قيل لبعضهم: ما الذي ازهدك في الدنيا؟ قال: قلة وفائها وكثرة جفائها، وخشية شركائها[2].
* قالت رابعة العدوية: ما أحب ان لي الدنيا كلها حلالا أنفقها في سبيل الله، وأنها شغلتني عن الله طرفة عين[3].
* قال الحسن البصري: «لا تزال كريماً على الناس، ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فاذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك»[4].
* وقال ايوب السختياني: لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في ايدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم[5].
* قال اعرابي وقد دخل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم[6].
* وقيل شعراً عن الدنيا:

فان تجتنبهـا كنت سلماً لأهلهـا وان تجتـذبهـا نازعتـك كلابهـا[7]

* قال ابن قدامة: متى طلب السعة في المسكن «زيادة على الحجرة»، وعلو السقف فقد جاوز حد الزهد[8].
* قال الشافعي: لو اوصى لأعقل الناس صرف للزهاد، وقال: طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى بها اهل التوحيد.

٧ ـ مناقشة حول الحديث :

س١) اذكر بعض تعريفات الزهد عند السلف ؟

جـ١) ١ـ قال ﷺ: الزهادهفي الدنيا ان لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد

---

(١) السابق ص٢٥٩. (٢) السابق ص٢٦١. (٣) السابق ص٢٦٢.

(٤) السابق ص٢٦٤. (٥) السابق ص٢٦٤. (٦) السابق ص٢٦٥. (٧) السابق ص٢٦٥.
(٨) مختصر المنهاج ص٣٤٩.

الله . . ، ورفعه منكر والصحيح وقفه على أبي ذر[1] .

٢ـ قال الفضيل : اصل الزهد الرضا عن الله[2] .

٣ـ وعن الحسن البصري : الزاهد الذي يرى غيره أفضل منه[3] .

٤ـ قال وهب بن الورد : الزهد في الدنيا : ان لا تأسَ على ما فات منها ولا تفرح بما أتاك منها[4] .

٥ـ سئل الزهري عن الزاهد، فقال : من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره : اي الزاهد في الدنيا اذا قدر منها على حرام صبر عنه فلم يأخذه، واذا حصل له منها حلال لم يشغله عن الشكر، بل قام بشكر الله[5] .

* قال ابو سليمان الداراني : اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال : الزهد في ترك لقاء الناس : ومنهم من قال : في ترك الشهوات، ومنهم من قال : في ترك الشبع، ثم قال : وانا اذهب الى ان الزهد في ترك ما اشغلك عن الله عز وجل، قال ابن رجب : وهذا حسن، فهو يجمع جميع معاني الزهد واقسامه وانواعه[6] .

س٢) ذكروا للزهد علامات، أذكر بعضها :

جـ٢) ١ـ عدم الفرح بالموجود ولا الحزن على المفقود (الزهد في المال) .

٢ـ استواء المدح والذم «الزهد في الجاه» .

٣ـ ان يكون أنسه بالله وحده، والغالب على قلبه : حلاوة الطاعة[7] .

س٣) ذكروا للزهد اقساماً وانواعاً، وضح ذلك .

جـ٣ . لم يكثر الناس الاختلاف على شيء كما اكثروا الاختلاف على الزهد تعريفاً وتمثيلاً وتفريعاًوتقسيماً، وكلٌ اشار الى ذوقه، ونطق عن حاله وعبر عن وجهة نظره، واليك بعض هذه التقسيمات :

١ـ قال احمد : الزهد على ٣ أوجه : أ) ترك الحرام ـ وهذا هو زهد العوام . ب)

---

(١) الجامع ص٢٥٤ . (٢) السابق ص٥٥ (٣) السابق ص ٢٥٥ (٤) السابق ص ٢٥٥ .

(٥) السابق ص٢٥٦ .

(٦) السابق ص٢٥٧ .

(٧) مختصر المنهاج ص٣٥٢ .

ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص. جـ) ترك مايشغل عن الله ـ وهو زهد العارفين[1].

٢ـ وقال ابن القيم: الزهد اقسام: أ) زهد في الحرام، وهو فرض عين. ب) وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة فان قويت التحقت بالواجب وان ضعفت كان مستحباً. جـ) وزهد الفضول.

د) وزهد فيمالا يعني من الكلام والنظر والسؤال وغير ذلك هـ) وزهد في الناس و) وزهد في النفس، بحيث تهون عليه نفسه في الله[2].

٣ـ قال ابن رجب: قسم كثير من السلف الزهد اقساماً، فمنهم من قال: افضل الزهد: الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله، ثم الزهد في الحرام، ثم الزهد في الحلال، والقسمان الاولان كلاهما واجب والثالث مستحب[3].

٤ـ وقال ابراهيم بن ادهم: الزهد ثلاثة اصناف: فزهد فرض، وزهد فضل وزهد سلامة، فأما الفرض، فالزهد في الحرام، والفضل الزهد في الحلال، والسلامه: الزهد في الشبهات[4].

س٤) هل لا يوجد زهد مع كسب الحلال، وتعاطي العمل المشروع، وهل يشترط لذلك الاعراض التام عن الدنيا؟ اذكر ادلة ما تراه؟

جـ٤) لا، بل يمكن ان يكون المرء زاهداً ولو كان ثرياً، وإليك بعض اقوال السلف في ذلك؟

١ـ قال في مختصر المنهاج: الضروريات المهمات ليست من الدنيا، وهي في المطعم والملبس، والمسكن، واثاثه، والمنكح، والمال، والجاه[5].

٢ـ وقال: قد يكون الغني زاهداً اذا كان قلبه مفرغاً عن الدنيا، وقد يكون الفقير دنيوياً اذا اشتد حرصه، وكان معمور القلب بالدنيا[6].

٣ـ يؤيد ذلك: قول ابي سليمان: كان عثمان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزّان الله في ارضه، ينفقان في طاعته، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما،

---

(١) الاتحافات ص١٥٤.

(٢)الفوائد ص١١٨. (٣) الجامع ص٢٥٦. (٤) السابق ص٢٥٧.

(٥) ص٣٥٢. (٦) السابق ص٢٨٧.

وقـول مالـك بن دينـار: النـاس يقـولون مالك زاهد، انما الزاهد عمر بن عبد العزيز، قال ابن رجب: وقد اختلف العلماء: ايهما افضل: من طلب الدنيا من الحلال، ليصل رحمه، ويقدم منها لنفسه، ام من تركها بالكلية؟ فرجحت طائفة من طلبها على ذلك الوجه، كابراهيم النخعي وغيره[1].

٤ـ وقـال ابـو سليـمان: ليس الـزاهـد من القى هموم الدنيا واستراح منها، انما الزاهد من زهد في الدنيا، وتعب فيها للآخرة[2].

٥ـ قال ابن رجب: فالزهد في الدنيا يراد به: تفريغ القلب من الاشتغال بها ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والشوق الى لقائه[3].

٦ـ وروى عن ابي الـدرداء مرفـوعـاً: «الـدنيـا ملعـونه، ملعون ما فيها الا ما ابتغى به وجه الله»[4].

٧ـ وقال يحى بن معاذ: كيف لاأحب دنيا قدّر لي فيها قوت اكتسب بها حياة، ادرك بها طاعه، انال بها الآخرة[5].

س٥) كيف يمكن تحصيل صفة الزهد في الدنيا؟

جـ٥) ١ـ بالنظر في طبيعة الدنيا، وسرعة زوالها، وخسّتها، والم المزاحمة عليها، فطالبها لا ينفك من همّ، قبل حصولها وبعده، وبعد فواتها.

٢ـ النظر في الآخرة واقبالها ودوامها، وشرف خيراتها ودوامها وكمالها[6].

س٦) بيّن منشأ الزهد بأنواعه؟

جـ٦) قالوا: الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء، كلها من اعمال القلوب:

١ـ ان يكون العبد بما في يد الله اوثق منه بما في يد نفسه/ وهذا ينشأ من قوة اليقين وصحته، بان الله سبحانه ضمن ارزاق العباد.

٢ـ ان يكون العبد اذا أصيب بمصيبة في دنياه، من ذهاب مال او ولد او غير ذلك، ارغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا ان يبقى له، وهذا ايضاً

---

(١) الجامع ص٢٦١. (٢) السابق ص٢٦٢.

(٣) الجامع ص٢٦٢.

(٤) السابق ص٢٦٢.

- وقال الحسن البصري, ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها / الجامع ص٢٥٩.

- وقال ﷺ: «حُبّب إليّ من دنياكم النساء والطيب.. الخ/ الجامع ص٢٥٩.

(٥) الجامع ص٢٦٠. (٦) الفوائد ص٢٧.

ينشأ من كمال اليقين، فقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به حبك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا»[1].

٣ـ ان يستوي عنده الحامد والذامّ في الحق، وينشأ كذلك من كمال اليقين، قال ابن مسعود: اليقين: ان لا ترضي الناس بسخط الله[2].

س٧) بين ارتباط الحديث بغيره من الاربعين.

جـ٧) ان اقوى ارتباط له، هو بالأحاديث الثلاثة التالية:

١) حديث الاعمال بالنيات/ حيث قابل بين الهجرة الى الله والهجرة الى الدنيا، وهذا يعني: ان من هاجر الى الله، هجر الدنيا حتماً.

٢) من حسن اسلام المرء: فهو يعني: ان لا يشتغل في الدنيا إلا بما يحبه الله لان هذا وحده هو الذي يهمه وينفعه.

٣) حديث: كن في الدنيا كأنك غريب.

---

(١) الجامع ص٢٥٥. (٢) ص٢٥٥.